النص الرقمي وآليات التلقي

الدكتور: كواري مبروك

مدير مختبر الدراسات الصحراوية جامعة بشار

ملخص:

النص الرقمي، أو الأدب الرقمي مولود جديد، في الساحة الأدبية، يطرح إشكالات مثيرة في كيفية التعامل معه ؟ فهناك أسئلة كثيرة ما زالت عالقة لم تجد جواباً بعد. هل اللغة العربية استوعبت التطور التقني ؟ وهل سرعة تدفق المعلومة في الشبكة الرقمية متاح لها ؟ إننا نعيش عصر العولمة، عصر المتناقضات. فكيف السبيل إلى التأقلم مع المفاهيم والمقولات الغربية ؟ هذا الواقع أحدث شروخاً في التواصل في الثقافة العربية لكونها ما زالت رهينة الثقافة الورقية. هذا الوضع الاستثنائي، دفع بالمشتغلين بالثقافة العربية لمتابعة الجديد في الساحة المعرفية، ومحاولة معرفة كيف يتم الانتقال من عهد إلى آخر دون صراع، وبأقل الأضرار الممكنة. لعل المستقبل يجيب على ما لا إجابة له الآن.

Abstract

Digital text or digital literature is a new born in the literary scene. It rises exciting problematic in how to deal with it? Is Arabic language ready to deal with technological development? We live in an era of globalization, the era of contradictions. So, how to cope with the western concepts and arguments? This reality led to schism in Arabic culture for being still held hostage paper culture. In this exceptional situation, many experts in Arabic cultures try to find ways in how to transit from one era to another without conflict; perhaps we find answers in the future .

بدأ الحديث اليوم عن النص الرقمي، والأدب الرقمي. واتجه البحث إلى دراسة هذا المولود الجديد، وتفكيك مراميه وأهدافه، وكيفية التعامل معه ؟ لكن الوقت مبكر للأخذ في هذا المجال. فهناك أسئلة كثيرة ما زالت عالقة لم تجد جواباً بعد. هل اللغة العربية استوعبت

التطور التقني الذي يمكنها من مواصلة الركض للقبض على هذا الفضاء الرقمي ومستلزماته ؟ وهل سرعة تدفق المعلومة في الشبكة الرقمية متاح للغة العربية ؟ إننا نعيش عصر العولمة بكل المقاييس، ونحن خارجها. نعيش في عالم رفض قيما كثيرة ومفاهيم ومقولات[1]. إنا نعيش المتناقضات. فكيف السبيل إلى هضم المفاهيم والمقولات الغربية التي أنتجت العصر الرقمي مع إصرارنا على التشبث بهذه المفاهيم والمقولات التي تجاوزه الفكر الغربي ؟ هذا الواقع أحدث شروخاً في التواصل في الثقافة العربية لكونها ما زالت رهينة الثقافة الورقية ولما تصل للثقافة الرقمية. هذا الوضع الاستثنائي الذي فرض نفسه، دفع بالمشتغلين بالثقافة لمتابعة الجديد في الساحة المعرفية، ومحاولة معرفة كيف يتم الانتقال من عهد إلى آخر دون صراع، وبأقل الأضرار الممكنة. لعل المستقبل يجيب على ما لا إجابة له الآن.

نبدأ بطرح جملة من الأسئلة: ما هو النص الرقمي ؟ هل نحن على استعداد لتلقيه، والتفاعل معه ؟ وهل الثقافة العربية على استعداد للتفاعل معه وبه ؟ ثم ماذا نعني بالأدب الرقمي ؟ ما هي مؤثرات النص الرقمي ؟ ما هي مواصفاته ؟ كيف يؤثر في المتلقي ؟ أين نجده ؟... هذه أسئلة مطروحة في الساحة النقدية، وتناولتها الأقلام ولا زال البحث فيها لما ينتهي بعد...

الثقافة الرقمية:

التعامل مع النص الرقمي الأدب الرقمي يطرح عدة تساؤلات وإشكالات في تحديد مجالاته وفي كيفية التفاعل مع الفضاء الرقمي ؟ إن معضلة التحول والانتقال من الثقافة الورقية إلى الثقافة الرقمية عبر وسائطها المتنوعة. يطرح السؤال هل اللغة العربية استوعبت التطور التقني، هل هي مستعدة للتحولات الرقمية المستقبلية ؟ وهل الفكر العربي هو جاهز للتحول؟..

النص الورقي / النص الرقمي

النص الورقي هو النص المكتوب أو المطبوع على الأوراق. فإن النص الرقمي أوسع مجالا وهو نص ينتقل عبر شبكة من الحواسيب تتكون من واحد على الأقل أو تضم كل حواسيب الكون ويُقرأ على شاشة خصوصيات عدّة لا توجد في النص الورقي فهو:

1- نص فائق، Hypertexte: تتعالق فيه كل الوسائط مع الصوت والصورة، الفيديو، اللون الإضاءة تفاعلي جميل الإخراج متعدد الأبعاد.

2- نص مفتوح بفضل صلات النصوص الفائقة Hypertexte المعنون عادةً بخطوط أسفل أية كلمة التي تسمح عند نقرها بالانتقال إلى موضع آخر في نفس النص أو إلى أي نص آخر في أي حاسوب في أطراف الكرة الأرضية تستطيع هذه الصلات أيضاً الانتقال الآلي إلى قواميس لشرح مدلولات كلمات النص أو تقديم أية معلومات إضافية عنها...

3- نص هوائي، يمكن الوصول إليه من أي جهاز، ومن أي مكان

4- نص ذري الفهرسة: لما تقدمه محركات البحث الكونية من تقنية (فاير فوكس ياهو جوجول...) يمكن الوصول عبر هذه المحركات إلى النص الرقمي بطريقة عبقرية لم تخطر ببال

ـ نص سهل التحديث سهل النسخ والنقل والإرسال سهل الحمل. لا وزن له أو أعباء أرخص من النص الورقي .

النص الرقمي:

"كل نص ينشر نشرا إلكترونيا على الشبكة العنكبوتية، أو على الأقراص المدمجة، أو في كتاب إلكتروني، أو بريد الالكتروني أو غيره.. نص استفاد مما أتاحته التقنية الحديثة،

وبرمجيات الحاسوب تفاعلاً. فهو يوظف إمكانيات آلية جديدة في بناء مضمون وشكل النص المنشور. هذه التقنية الرقمية أنتجت النشر الالكتروني، من مواقع ومنتديات ومدونات ومجلات رقمية، ووسائط التواصل الاجتماعي (فايسبوك، توتر، يوتوب...) البريد الرقمي الالكتروني والأقراص المدمجة وغيرها... هو نتاج وسائط منها النص وكاتبه وقارئه وناقده وجهاز عرضه وتقنية العرض... والنص الرقمي نوعان[2]

النوع الأول: النص الرقمي المغلق من حيث الشكل: هو الذي لا يستفيد من مؤثرات الثورة الرقمية التي، مثل تقنية النص المتفرع hypertexte والمؤثرات الصوتية والبصرية والحركية والألوان...

هو النص الذي اكتسب الصفة الرقمية لأنه نشر نشرا إلكترونيا، مثل: "الموسوعات العلمية، وحتى الصيغ القانونية لقانون ما"..

النوع الثاني: النص الرقمي المفتوح: النص الذي ينشر نشرا رقميا، ويستخدم التقنيات التي أتاحتها الثورة المعلوماتية والرقمية من استخدام النص المتفرع hypertexte والمؤثرات السمعية والبصرية، فن الحركة animation والرسومات graphique والألوان والأصوات... وغيرها من المؤثرات التي أتاحتها الثورة الرقمية[3]. التي دفعت إلى التعرف والتمكن من قدرات الإخراج الفني الدرامي

- الكاتب الرقمي: هو الكاتب الذي يستخدم الحاسوب وبرمجياته من أجل إنتاج نصه، أو الاستعانة بمن له القدرة على إعانته

- القارئ الرقمي: هو القادر على استخدام هذه التكنولوجيا لاستجلاء النص وقراءته وإبداء الرأي أو في البناء الأصيل للنص الرقمي. وهنا القارئ يهتم بالنص في ذاته، فقط.

– الناقد الرقمي: من يمتلك ثقافة رقمية واسعة، تمكنه من ممارسة فعل القراءة الرقمية (ما يتعلق بالأدب وعلاقة التكنولوجيا)

ماذا يعني الأدب الرقمي؟ تحدد مفردات الأدب الرقمي وأطرافه المشاركة: (الجهاز الرقمي. النص، الكاتب، القارئ، الناقد). الأدب الرقمي هو نتاج الثقافة الرقمية التي تعتمد الوسائط الإلكترونية في كتابة النصوص الأدبية وقراءتها في تشكيل – النص الرقمي، وما يجمع هذه المصطلحات (الثقافة الرقمية، الأدب الرقمي، النص الرقمي...) أو التصنيفات هو الرقمية أو الرقمنة، أو الرقمي، بمعنى انتماء الشكل الإبداعي إلى الرقم. والرقم هنا لا يعني مجرد الرقم في ذاته، إنما وصف الطبيعة التي يتمثلها أو الوسيلة التي يتخذها الإبداع في النشر. عبر الوسائط الإلكترونية من حاسوب، وما هو من صنفه كالقرص المدمج والآيباد والآيفون... والمميز في هذه الوسائل، إنها لا تقدم صورة جامدة، إنما تعرض صورة للنص الأدبي الرقمي قادرة على التشكل وإغناء النص ومنحه أكثر من مستوى تلقي في مراوغة المتلقين ومحاولة التأثير والتضليل وفق رؤية خاصة بمقاصد معينة أين تتفاعل المقاصد الثلاثة: المبدع النص، المتلقي..

المصطلح: مصطلح الأدب الرقمي: لا زال تحديد وتعيين مصطلح واصف لهذا الشكل من الإ ّ نتاج الأدبي لما يتبلور بعد سواء في الثقافة العربية أو الغربية، كون هذا المصطلح يرتبط بشكل مباشر بالطبيعة والتخييلية للنص الرقمي فهو أحياناً يوصف بالأدب التفاعلي وأخرى بالأدب المترابط، وهو طوراً ً يوصف بالأدب التشعبي وطورا بالأدب الإلكتروني... فعدم الاتفاق على مصطلح دليل على مدى صعوبة مجال البحث، وكذلك جدته. فالعصر الرقمي لا زال في أطواره الأولى، وإن كان الغرب قد قطع أشواطاً كبيرة في الثقافة الرقمية

الإبداع الأدبي الرقمي:

هو النص الإلكتروني المكتوب على الشاشة الزرقاء "مستعينا" بمفهوم جنس أدبي ما (شعر- رواية- قصة- مسرحية)، معتمداً التقنية الرقمية ومنجزاتها، التي أجبرت الكاتب على ضرورة تعلم فنون تركيب وتحريك الصورة، والصوت، وفن الإخراج (الكلمة) والصوت والصورة والجداول والرسوم الكاريكاتورية وتقنيات التجسيم.... ويتفرع إلى قسمين:

النص الترابطي: ويعرف باسم الـ hypertexte، وهو النص الذي يستخدم النص المتفرع، والمؤثرات الرقمية الأخرى، ولكن يقوم بكتابتها شخص واحد ويتحكم في مساراتها، أي لا يشاركه في عملية الكتابة أحد غيره، فهو نص يكتبه مؤلفه فقط، ويطلق عليها بعض النقاد "تفاعلي" لأنه يحتوي على أكثر من مسار داخل النص وتسمح للقاري بالاختيار بين المسارات السردية المختلفة التي تحتويها.

أما النوع الثاني: وهو ما يعرف باسم إل interaction وهو النص الذي يستخدم "التشعب" أو "التفرع"، مع بقية المؤثرات الرقمية الأخرى مثلها في ذلك مثل النوع الأول، ولكنه يختلف في أن الكاتب أكثر من واحد، أي يشترك في النص عدة مؤلفين، وقد يكون النص مفتوحا لمشاركة القراء في الكتابة.. تعبر عن وعي إنسان المعلوماتية، وعصر الثقافة الرقمية والمجتمعات الافتراضية.

النص التشعبي. وهو نص لا يكتفي بذاته، إنما يعول على الروابط التي يتواصل وإياها، قد يكون النص في ذاته رابطاً، وقد يؤلف في مجموع مكوناته، مجموعة من الروابط. وهذه الروابط قد تكون في اتجاه واحد، حيث يقود النص لآخر وهكذا في حركة اتجاهية أو التفافية بالعودة لنقطة البداية، أو في اتجاهين، بإدخال المتلقي في دائرة النص فيما يعرف بالنص

التفاعلي. وإن كان أمر توجيه النص وبالتالي القراءة في يد المبدع في الحالة الأولى (الاتجاه الواحد)، فإنه في الحالة الثانية يخضع لذائقة المتلقي وتواطؤ المبدع مع قرائه.

إن مواصفات النص المُستعرَض تعتمد على برنامج العرض أو برمجيات العرض، والاشتغال هنا يتم على هذه الصورة،بما يُتاح من برمجيات، في تقطيع النص وإضافة المؤثرات الصوتية والضوئية والمشهدية والتشكيلية، إن جودة النص مرهونة بأسلوب العمل وطبيعته، وطريقة تنفيذه. ويضمن النسق الرقمي وحدة شكل العرضفي حدود طاقات المُستعرِض والمتلقي.

تجربة التعامل مع النص الرقمي أو الأدب الرقمي، يعكس علاقة المجتمع العربي بالتقنية المعلوماتية (التكنولوجيا)، وهي علاقة ارتياب، والتي أصبحت المحرك الجوهري للعصر الحاضر، وهي الكفيلة بضمان وجودنا. وبشكل عام، مفهوم النص/ الأدب الرقمي ما يزال غامضاً لحداثة العهد بهذه التقنية، إنما المسألة في التراكم الثقافي الكفيل بدعم التجربة، للإجابة على كثير الأسئلة.

النص الأدبي نهر من الإيماءات والأصداء[4]في حالة اللغة الأدبية التي تتكئ على وسيط واحد في نقل الدلالة ونعني به الكتابة الورقية (النص الورقي) فالتشكيل الغرافي الخطي للكلمات هو الذي يوجه الدلالة. فكيف حال التمدلل في النص الرقمي، فهو بحر من الإيماءات والأصداء لاشتغاله على وسائط كثير ومثيرة تتدخل في إنتاج الدلالة، منها اللون والصوت والحركة والضوء... فهي مؤثرات متداخلة تتحكم في إنتاج الدلالة وتوجيه المتلقي نحو أفق دلالي خاص لا ينفلت منه..

الإشكال الثاني تجنيس القول الأدبي، إذا كان الشعر يؤكد طبيعته اللغوية، أي الارتباط بالملفوظ عكس القصة التي جوهرها يكمن بنيتها الحكائية لا في لغتها[5] فأين يكمن جوهر النص الأدبي الرقمي؟ أفي اللغة أم في البنية أم في شيء آخر لما نقف عليه بعد تساؤلات[6]:

1- هل يمكن افتراض ممارسة أدبية بالتنازل عن الذاكرة أو تجاوزها، مادامت الإمكانيات الرقمية تقدم للمشتغل الرقمي كل حاجياته من المعلومة والمعرفة والنصوص؟.

2- الأدب الرقمي استمرار أم انقطاع في نظرية الأدب.

3- ما العلاقة بين الإبداع والتخييل وسلطة التكنولوجيا.

وستكون هناك نظرية أدبية جديدة تعيد للفنون وحدتها، فجمالية النص الرقمي يشترك فيها اللون، والضوء والحرف، والصوت، والحركة، والتقاليد الأدبية، وحدود الأجناس تختفي مع سيولة العالم الجديد، والإبداع خيال لغوي وتقني، والمبدع أديب مبرمج، والقراء جزء جوهري من عملية الإبداع وشركاء فاعلون فيها. والخطاب الأدبي يفيد من رؤية العالم الرقمي، وثقافته ويمكن لأدبائنا أن يسهموا بدور فاعل في بناء قيم جمالية تجمع بين أصالة الوعي وحداثة الوعاء. أما المنتج الإبداعي الرقمي (التفاعلي أو غير التفاعلي)، فقد توزعت بين العديد من أجناس الأدب المختلفة. الرواية والشعر والمسرحية والمقالة الرقمي...

النص بين السطرية والرقمية ومعضلة المرجعية الداخلية[7]

تسمية النص المفرغ (الإلكتروني)	النص السطري (المخطوط أو المطبوع)
متحرر من سلطة السطر	مقيد بسلطة السطر
النص متحرك متعدد الوسائط	النص ذو بعد واحد. البعد السطري
متطور في حالة تشكل مستمر افتراضي غير محدد الشكل	جامد غير قابل للحركة
يمكن التحكم في حجمه	يصعب التحكم في حجمه

منفتح على النصوص(العلاقة تزامنية ومفرغة)	منعزل شكليا (العلاقة تعاقبية ذات بعد واحد)
مفتوح لتفحص المتلقي وتدخلاته	مغلق شكلياً على المتلقي
تأليف فردي أو جماعي، مشاركة مفتوحة	محصور بمؤلف واحد مع احتمال شراكة

التفاعلية:

فكرة تفرض تقنية لها وسائط الفعلي لتحقيق مسارها المتضمن قبول النتاج. هذه التقنية تضمن حضور المنتج / المرسل، والمستخدم/ المتلقي والدخول في محاورة للتعبير عن الرفض والقبول للتسويغ والتعديل للوصول إلى نتيجة حتمية القبول[8] وفي مجال الأدب أصبحت التفاعلية مطلبا لتلقي النصوص الأدبية لأنها لا تقوم على الاستقبال، بل تتعداه إلى أهم مبدأ التفاعل الحي بين منتج النص والمتلقي من خلال آليات التلقي عبر استعمال الحاسوب فيحدث التواصل الرقمي للنص الأدبي. فيجاريه المتلقي بردود عاطفية وفكرية هندسها المنتج سلفا. وهكذا يتم التفاعل بين المبدع / النص / المتلقي... هذا الأخير له الاختيار من بين الاحتمالات التي نسجها المبدع على شكل أيقونات تظهر على واجهة النص المترابط المتفرع الرقمي[9]

النقد الثقافي التفاعلي: هو الذي يستطيع مجارات النصوص الأدبية الرقمية التفاعلية اعتمادا على ما يلي:

التواصلية:

مبدأ التفاعل المبني حدوث التواصل الذي يعتمد على نجاحه على جودة الاتصال أين يتم تبادل المفاهيم من خلال الرموز المعروفة وتتم عبر شروط: طرفا الاتصال موضوع اتصال قناة اتصال (الحاسوب)

المشاركة:

تقوم على مبدأ التحاور بين المتلقي والنص الأدبي لتحقيق التفاعلية أي المشاركة في الإنتاج والتقييم والترويج للنص ليحقق كينونته استمراريته. وهذا النزوع حتمية فرضها تطور ثقافة المجتمعات نحو التقارب والعالمية[10]

الهوامش

---

1 – موت المؤلف، نهاية التاريخ، نهاية الديمقراطية موت الواقع ميلاد الواقع الافتراضي.

2 – د. فاطمة البريكي/ مدخل إلى الأدب التفاعلي/ شبكة الانترنت

3 – حسام الخطيب، الأدب والتكنولوجيا وجسر النص المتفرع دمشق ط 1 1996.

4 – علي جعفر العلاق: الدلالة المرئية. ص: 119

5 – م س ص 52

6 -زهور كرَام: الأدب الرقمي – أسئلة ثقافية وتأملات مفاهمية)، ص: 23، 24 رؤية للنشر والتوزيع – القاهرة/ 2009.

7 – حسام الخطيب: آفاق الإبداع ومرجعيته في عصر المعلوماتية ص: 57 طبعة بيروت 2001

8 – أ مجد حميد التميمي: مقدمة في النقد الثقافي ص: 33 ط/ 1بيروت

9 – م. س: ص 34

10 –9– م س: 49